تاريخ و آثار مدينة "ميلة القديمة

الأستاذ عـزالـدين مجّاني، جامعة تيارت

ملخّص:

يعتبر الموقع الأثري لمدينة ميلة المعروف قديما باسم "ميلاف-Milev " وحاليا بميلة القديمة من بين أهم المواقع في ما كان يدعى بالمقاطعة النّوميديّة، و ملتقى للطّرق المؤديّة إلى عواصم المقاطعات الرّومانية في المغرب القديم خلال الفترة الرومانية و البيزنطيّة، ويزخر الموقع بآثار تعود إلى هاتين الحقبتين من التاريخ الطويل للمنطقة . ولقد شدّ انتباهنا قلّة الأبحاث التي تعرّضت لتاريخ الموقع في فترته القديمة رغم صمود و تنوّع آثاره، لذلك سنحاول تسليط الضّوء على هذه الشّواهد التاريخيّة في دراسة أثريّة لها و الوقوف على أهم الأحداث التي عرفتها المدينة بدءابالأسوار الدفاعيّة البيزنطيّةالممتدّه على طول 1200متر و مختلف لواحقها وعين الماء الرومانيّة الموجودة في قلب المدينة القديمة و الكنيسة الكاثوليكية للقديس "أبتاتوس الميلي" و التاريخ المسيحي.

Abstract:

The archaeological site of Milev,Currently known as "old Mila" is considered among the most important sites in what was called the province of "Numidia" during both the Roman and Byzantine rules. It is also the crossroads leading to the capitals of provinces in roman Africa during the Roman and the Byzantine periods. The site is reach about monuments belonging to these periods and they are still standing,resisting to human and nature, and telling the long history of the area.As thishistoryhad not whatitdeservesfromstudies,wewilltrythroughthe archaeologicalstudy of some ruines to show how important the city was , in roman and specaily in Byzantine time throughitsremparts of 1200m lengh and the ChristianChurch of « Saint Optatus » and other important monuments

الموقع:

تقع "ميلة القديمة" في مدينة ميلة عاصمة الولاية ذاتها، على علو 460 متر عن سطح البحر[1] ما بين خطي طول 820-821 شرقا وما بين خطي عرض 355-356 شمالا. و هي عبارة عن مجموعة سكنية كانت النّواة الأولى لمدينة ميلة الحديثة و قد أطلق الفرنسيون عليها في وقتهم

اسم " مدينة العرب" وشاع عند معظم السكان حاليّا تسمية هذا الجزء من مدينتهم بـ" الثكنة" وهذا نسبة إلى الثكنة الفرنسية التي أخذت لنفسها مكانا في أحد أجزاء السور البيزنطي الذي يحيط بها.

صورة (1)و(2) عن: المعهد الوطني للخرائط، الجزائر. (بتصرّف)

1- لمحة تاريخية عن مدينة "ميلاف":

يعود بنا أقدم تاريخ المدينة إلى زمن المماليك النوميدية حيث كانت إلى غاية سنة 46 قبل الميلاد ضمن قطاع الملك ماناساس حليف يوبا الأول[2]، لكن لم ترد أي معلومة حول ما إذا كانت مدينة بالمفهوم القديم أو مجرد قطاع و إقليم. بعد انهزام يوبا الأول و حليفه أمام القيصر و أتباعه، قام هذا الأخير بإهداء قطاع للمرتزق سيتيوس (Sitius) مع مدينة ميلة و الذي قسمه على جنوده لتتكون أربعة مناطق بعواصمها الأربعة وهي سيرتا (Cirta)، القل (Collo)، سكيكدة (Rusicade) و ميلة (Milev) لتشكل ما يعرف بالكونفديراليةالسرتية خلال العهد الروماني. حسب رأي الباحث (Berthier) لم يكن مصطلح المستعمرة الذي أطلق على هذه المدن في عهد القيصر، ما هو إلا تمويه و لم تكن إطلاقا في هذا المصف الإداري أثناء تلك الفترة[3]. رقيت مدينة ميلة إلى مصف المستعمرة في عهد الإمبراطور ترايانوس[4]. برزت المدينة في الساحة التاريخية ابتدءا من سنة 216م، حيث عقد مجمع ديني مسيحي (Consil) في قرطاجة عرف حضور الأسقف بوليانوس الميلي (Polianus de Milev)[5]، بعدها تم اعتماد تسمية المدينة باسم

Milev هذا بعد ورود اسم المدينة على أشكال عدة حيث ذكرت على لسان بطليموس بتسمية ميريوس (Mireos)[6]، في مسار أنطونيوس بمليوم (Mileum)[7] و قد وردت على لسان بروكوبعلى هيئة مليون (Meleon)[8] إلى أن جاءت في طاولة بوتنغر على هيئة ميلاف و هي التسمية التي أتت في نقيشة عثر عليها بتيديس(COL. SARN.MILEV)[9].

كانت الفترة المسيحية أزهى فترات المدينة حيث امتدت شهرتها إلى كامل المقاطعة الإفريقية حيث أقيم بها مجمعين دينيين سنتي 406م و 466م[10]. خلال الفترة الوندالية لم تعرف المدينة أي ظرف خاص، حيث يرى الباحث كورتوا (Courtois) أن هذا القسم من المدينة لم يعرف أسوارا للجيش الوندالي على عكس المرحلة البيزنطية[11].

الغزو البيزنطي:

خلال الحملة الثانية لصلومون على شمال إفريقيا سنة 539م، قام بالإغارة على الأوراس، الحضنة و سطيف، باعتبار التل النوميدي ذو أهمية بالغة أقيم بها خط دفاعي و الذي من بين وحداته مدينة ميلة حيث يشهد بركوب أنها حصّنت بأسوار دفاعية قوية خلال هذه الفترة[12]. خلال الفترة الإسلامية تم عن قصد دفاعي إخضاع المدينة بداية من القرن الثامن للميلاد و هذا للاستفادة من سورها الدفاعي و الاحتماء من ضربات البربر الثائرين[13].

-آثار مدينة ميلة:

إنّ أهم ما يلفت النّظر في المدينة هو السّور البيزنطيّ الذي يحيط بها والذي لا تزال أجزاء منه ظاهرة للعيان، أما من الدّاخل فتوجد منبع ماء على شكل عين مياه تعود إلى الفترة الرّومانيّة و مسجد ينسب إلى أبي مهاجر الدّينار كان كنيسة رومانيّة، وسوف نتعرّض إلى هذه الآثار بالتّسلسل الزّمني أوّلا بأوّل.

1- منبع المياه(عين البلد):

يعتبر هذا المنبع المعلم الروماني الوحيد الشاهد على الحضارة الرومانية بهذه المدينة، في انتظار إزالة الغموض و الشكوك حول المبنى المتواجد تحت قواعد أحد المساجد في المدينة

والذي سنتعرض له لاحقا عكس هذه العين التي أرجعها معظم الزائرين المختصين إلى الحقبة الرومانية[14] و قد أثارت إعجاب الرحالة حيث ذكرها البكري تحت اسم "عين أبي السبع "[15].

صورة(3)و(4)

يتواجد هذا المنبع في الجهة الشمالية الشرقية من داخل السور الدفاعي، بالقرب من البوابة الرئيسية "باب البلد" التي يعود إليها أصل التسمية حيث تدعى حاليا بعين البلد و هي عين ذات عمارة رومانية تتكون من غرفة صغيرة مقببة على خلاف شكل النافورة الرومانية مسندة على جدار خلفي من الحجارة الضخمة. تبلغ مقاساتها (2,50 م) x (2,90 م) و بارتفاع إجمالي 1.95 م موجهة شرق- غرب، تحتوي الواجهة الأمامية منها على فتحتين في الأسفل ينساب من إحداها مياه عذبة صالحة للشرب، أما بخصوص الأخرى فهي أصغر حجما من الأولى و تعتبر الفتحة الأصلية فيها لكونها مبنية و متقنة و ليست مجرد ثغر خال من أي عنصر فني، إضافة إلى أنها جافة لا يسيل منها الماء، و من خلال ما روي عنها أن الفتحة التي تجري منها المياه حاليا، هي من فعل السكان حيث في فترة ما نزل منسوب المياه إلى ما دون الفتحة الأصلية فكان لزاما عليهم فتح ثغرة أخرى للسماح بجريان المياه خارجا.

تصب هذه المياه في حوض أقل ما يقال عنه أنه تحفة معمارية فنية ليتم توجيهها فيما بعد بواسطة ساقية تمر بمحاذاة السور الخلفي المذكور سابقا التي تصرفها تحت الأرض و قد قام الفرنسيون بتعديلات على هذا المستوى لا تتجاوز حدود الصيانة[16] التي امتدت إلى العين نفسها حيث من المحتمل أنه تم في نفس الفترة إعادة تلبيس الجدران الخارجية بجبس دهني. أما عن مصدر

هذه المياه فقد اختلفت الآراء و تباينت بين محدِّث و مختص و تعود أولى التفسيرات إلى البكري الذي يقر بأن مياهها جلبت من جبال "بني ياروت" و يقول (FEGNAN) نقلا عن كتاب "الإستبصار" لأحد الرحالة العرب أنها جلبت من جبل "تامروت"[17] و هذه التسمية شبيهة جدا بالتسمية المذكورة من طرف البكري لذا يمكن أن يكون خطأ في الترجمة و النقل السليم للأسماء. من ناحية آراء المختصين، يرى قزال أن هذه المياه مصدرها جبال "مرشو" المتواجدة جنوب المدينة و التي تتزود منها هذه الأخيرة بالمياه عبر قناة ناقلة تم تحويل بعض مياهها نحو هذه العين[18].

2- السورالدّفاعي البيزنطي:

إنّ مجرد إلقاء نظرة عن مخطط العام للسور يتبين لنا أن السور ذو مخطط غير منتظم خارجا عن القانون النظري البيزنطي الذي يحبذ المخطط المستطيل الشكل، هذا لما يوفره من فرص لاقتصاد المادة الإنشائية و الجهد البشري بغض النظر عن سهولة الدفاع عنه و التحكم في كل نقاطه، و من أهم العوامل التي جعلت من مخططه شكلا غير منتظما نجد عاملين أساسين، أولهما طبوغرافية المنطقة حيث أن الموقع المنجز عليه هذا السور عبارة عن منحدر ذو ربوة صغيرة، أما العامل الثاني فمتعلق بالمدينة الرومانية و معالمها و هو رغبة السلطة البيزنطية في ضم بعضها و التي رأى فيها البيزنطيون مصلحة و وجودها مهم في مدينتهم المسورة، حيث تناثرت هنا و هناك في نطاقها الأصلي، مما صعب على البيزنطيين ضمها ضمن شكل منتظم[19].

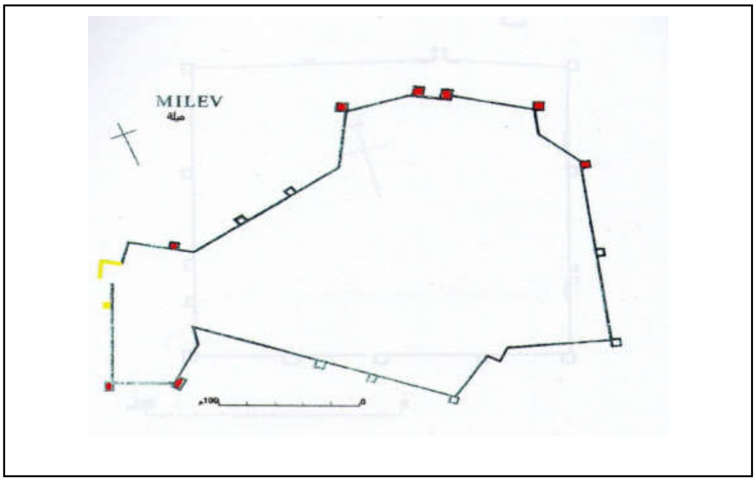

شكل(1) مخطط السّور البيزنطي لميلاف عن غزال[20] (بتصرف)

يتميز هذا السور بطبيعة الحال، بالتقنية البيزنطية المتبعة في تشييد العمائر الدفاعية حيث يتكون طبقا للمعاير التي رأينها سابقا من جدارين من الحجارة الضخمة بينهما فاصل معتبر مكون أساسا من الدبش و الملاط، حيث يبلغ أقصى سمك السور 3.30 م و أدناه بمترين، أما العلو فقد بلغ أقصاه ناحية البوابة الرئيسية في الجهة الشمالية الشرقية حيث فاق العلو 4.90م، أما أقل ارتفاع له فقد بلغ في أجزاء مختلفة من الواجهة الجنوبية مترا واحد، و يتكون في هذا الجزء من جدار أحادي حيث تهدم الجدار الثاني المكون له، و للإشارة فإن هذه الإحصائيات تخص فقط الأجزاء التي بقيت على حالتها البيزنطية (باللّون الأحمر في المخطّط) و التي لم يجري الفرنسيون تعديلات حيث انحصرت تدخلاتهم على الجزء الأعلى من السور في الجهة الشمالية الغربية (اللّون الأصفر في المخطّط)حيث حول هذا القسم إلى ثكنة للجند.

صورة(5) و (6) تقنيّة ازدواجيّة السّور الدّفاعي البيزنطي لميلاف

يتخلل هذا السور و الذي يمتد على طول 1200م[21]، و على مسافات مختلفة و لكن متقاربة أربعة عشر برجا[22] و قد سمحت لي هذه الدراسة أن أأكد هذا الرقم بعد أن جاءت أخر إشارة إلى هذا السور بأنه يحتوى على 17 برجا[23]، و هذا خطأ من الناحية الأثرية، حيث يحتوي هذا السور بالفعل على سبعة عشر برجا في الوقت الحالي و لكن يوجد من بينها برجين غير أصليين في السور

و إنما هما ثمرة تقليد فرنسي قام به المستعمر في الواجهة الشمالية الغربية للسور. أما بالنسبة للبرج الثالث فيصعب كثيرا الحكم عليه كبرج لأن معالمه غير واضح. يحتوي هذا السور على بابين رئيسين يعودان إلى الفترة البيزنطية و هما "باب البلد" في الشمال الشرقي يقابله في الجهة المعاكسة ناحية الجنوب الغربي "باب الحديد" و هما متشابهان لحد بعيد في الحجم و تقنية البناء و سوف نتعرض لهما بالتفصيل لاحقا. أما فيما يخص الحيز الذي يطوقه السور الدفاعي فقد بلغت مساحته 5.14 هكتارا[24] و هي مساحة كافية لضم أكبر عدد ممكن من المعالم و المنازل الرومانية.

1- الأبراج:

كما سبق لنا الذكر، يحتوي السور الدفاعي لميلة على أربع عشر برجا أصليا يجتمعون في شكل موحد و هو الشكل الرباعي ذو المزايا الدفاعية المتوسطة بالمقارنة مع الأبراج الدائرية، و لكن تعتبر أسهل بناءا و أوفر جهدا و مالا و وقتا حيث خلال معاينتي لهذه الأبراج واحدا واحدا، وقفت على الحالة التي آل إليها معظمها حيث لم يسلموا من عوامل الطبيعة من جهة، و من يد الإنسان العابثة من جهة أخرى، وقد خصّصت لها دراسة أثريّة في مذكّرتي[25] يتعذّر عليّ ذكرها هنا لذلك سأكتفي بذكر واحد مختلف تماما عن الآخرين.

- **البرج رباعي الأعمدة (Tetrapyle):**

صورة (7): البرج رباعي الأعمدة (Tetrapyle)

يعتبر هذا البرج أهم برج في السور، ليس فيما يحتويه بل في شكله و هو فريد من نوعه ليس فقط في هذا السور و إنما في كل الأسوار المدن المحصنة في الجزائر حيث يعبر في شكله أكثر تعقيدا و حجما من باقي الأبراج المعروفة و أشبه بحجم أقل من أقواس النصر المعروفة و قد أطلق تسمية رباعي الأعمدة (Tetrapyle) من طرف مكتشفه الباحث برقولا (Pergola) سنة 1927م حيث أقام عليه حفريات خاصة و تمكن من بلوغ قاعدته التحتية، لتوسّع الحفريات من طرف ستامسكي (Stamski)سنة 1957م[26] حيث تم الوصول إلى قاعدته التي بني عليها و التي تقع على عمق 3.5 متر. يقع هذا البرج في الجهة الشرقية للسور الدفاعي عند نقطة تحول مسار السور الدفاعي بزاوية 27 درجة[27] حيث اعتبره الباحث برقولا كبوابة معلميّة ذات أرضية مبلطة على عمق خمسة أمتار[28].

مخطط هذا البرج مستطيل الشكل بمقاس 8.5م على 10.40م و بلغ سمك جدرانه 2.5م. يتكون كل جدار من هذا البرج من قسمين، قسم أول عبارة عن شريط يتراوح ما بين 1م و 1.20م حسب الواجهات يليه قسم ثاني عبارة عن بوابة مقوسة مشكلة من عدة قطع حجرية حيث تمثل كل بوابة مع قوسها واجهة من واجهات البرج الأربعة. يبلغ عرض كل باب من هذه الأبواب المقوسة 4.65م، أما زوايا هذا البرج فهي عبارة عن أربعة أعمدة حجرية ضخمة، و من المحتمل جدا أن تكون هذه الأقواس مع الأعمدة الحجرية عبارة عن مساند تحمل سقف البرج الذي هو عبارة عن قبة و التي انهارت و لم يعد لها وجود[29].

في الواجهة الشمالية للبرج و نعني بها الواجهة المسندة إلى السور الدفاعي توجد بوابة في وسط السور مع قوس، يسبقها دهليز بطول 1.15م تحتوي على مدخل صغير مقاسه 1.66م علوا، 0.67م عرضا مع عارضتين جانبيتين بعرض 0.15م حيث نجد على العارضة اليسرى ثغرا في الأعلى و آخر في الأسفل يستعملان في تثبيت الباب الذي يفتح إلى الجهة الخارجية، يقع هذا المدخل الصغير ضمن مدخل كبير كان قبله و الذي تم تقزيمه إلى هذا المدخل الصغير لهدف من الأهداف ربما كان و في وقت ما شكله الكبير يسبب خطورة[30]. يوجد في إحدى الزوايا و نعني بها الجنوبية شكل دائري مبني بالدبش، مبهم و فريد من نوعه حيث لم يستطيع الباحث برينغل إعطاء أي تفسير له ما عدا نقله عن ما قاله برقولا بشأنه حيث رجح كل منهما إمكانية كونه موقع

حراسة[31] و اعتبره برقولا في نفس السياق النموذج الأسبق لمراقب (poivrière) العصور الوسطى حيث يكون عبارة حجرة تتسع لحارسين و الذي تهدم كليا حيث يمكن أن يكون معدلا في فترة ما[32].

2- المداخل:

المدخل الرئيسي للمدينة البيزنطية ميلاف يقع في الجهة الشمالية الشرقية و المسماة "باب البلد" و الثانية من الجهة الجنوبية الغربية و تدعى "باب الحديد" و هذا رأي معظم الباحثين و على رأسهم قزال[33].

أ- باب البلد:

صورة(8): باب البلد

يقع هذا المدخل في الجهة الشمالية الشرقية للسور الدفاعي، لا يزال في حالة حفظ جيدة و نعني بذلك ما يظهر منه بارز على مستوى الأرض و هو قوس يتوج هذا المدخل، حيث لا يزال باقي المدخل مغمورا تحت الأرض في انتظار من يزيل عنه الأتربة.

يرتفع هذا القوس الضخم بـ 2.80م عن سطح الأرض، مشكل من سبعة عشر حجرا عقديا بما فيها قواعد القوس التي مازالت على مستوى سطح الأرض و يبلغ عرض هذا القوس من قاعدته

اليمنى إلى قاعدته اليسرى 3.70م و قد هيّئ هذا المدخل في سمك السور الذي يبلغ 2.60م، حيث أن أقصى ارتفاع للسور في هذه الناحية هي 4.95م.

أطلق البكري على هذا الباب تسمية "الباب السفلي"[34] و لا أحد من الباحثين شك في هويته البيزنطية بل كثيرون ممن أكدوا ذلك[35] لكن إشكالية توافق السور الروماني مع السور البيزنطي في هذه النقطة مازالت قائمة، أضف إلى ذلك الجمال و الدقة التي يتمتع بها هذا القوس جعله محل شك من أنه ذو عمارة رومانية، إذ نجد من الباحثين من أشار إلى أن مدينة ميلاف الرومانية كانت تحيط بها أسوار دفاعية[36]. يعتقد بعض الباحثين أن هذا المدخل يعطي إمكانية الدخول إلى المدينة سالكين الطريق القادم من مدينة قسنطينة مقر الدوق البيزنطي المضي قدما نحو مدينة سطيف[37]. باعتباره المدخل رقم واحد في السور و المدينة ككل، فقد جهز بنظام دفاعي خاص حيث كان يوفر له الحماية برجين ضخمين على يمين و شمال الباب يبلغ مقاسهما 6.25م x 7.65م يبعد كل واحد منهما عن الباب بـ 3.80م.

ب– باب الحديد:

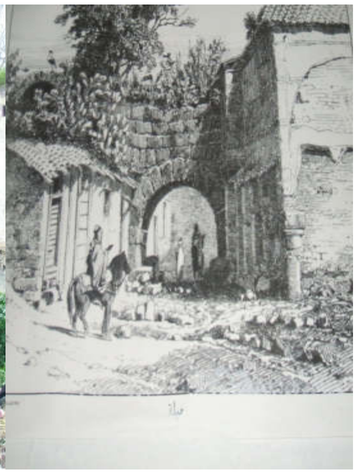

صورة (9)و(10): باب الحديد (الصورة 9 على اليمين مجهولة المصدر تحصّلت عليها في الموقع)

يقع هذا المدخل في الجهة الجنوبية الغربية للسور، هي الأخرى لم يتبقى منها سوى القوس الذي يتوج هذا الباب، شبيهة جدا بالباب الأولى "باب البلد" حيث تحتوي هي الأخرى على سبعة عشر حجرا عقديا مع قواعده الظاهرة و يبلغ عرض هذا القوس3.75م.

هيأت هذه البوابة في سمك السور الذي يبلغ 3.20م و يقول قزال عنها أنها البوابة الغربية للمدينة البيزنطية و التي أعيد تعديلها من طرف الفرنسيين[38]، غير أن هذه البوابة ليس لها برجين جانبيين يحميانها على الأقل حاليا حيث لا يوجد أي أثر لهما و هذا طبعا لا ينفي إمكانية وجودهما في السابق.

خلال الفترات اللاحقة خاصة في العهد الإسلامي استُعمل هذا القوس البارز عن سطح الأرض لحمل ثقل إحدى الغرفة لمنزل خاص مكون من عدة غرف كما توضحه الصورة و قد قام ساكن هذا المنزل بسد هذا القوس حتى أن البكري الذي أشار إلى البوابة الأولى "باب البلد" لم يذكر هذه البوابة لأنه ببساطة لم يراها بسبب هذا المنزل المتهدم حاليا و الذي سمحت وضعيته برؤية هذا القوس الجميل الذي أشار إليه كل الباحثين الذين زاروا المدينة. قد يعني وجود هذين المدخلين في جهتين متعاكستين وجود علاقة بينهما، خاصة و أنهما متشابهان حيث يرى بعض الدارسين أن هذه البوابة تفتح قبالة الطريق الرابط بين ميلة و سطيف قدوما من قسنطينة و مرورا بجميلة[39].

ج– المدخل الثانوي "باب الرؤوس":

يقع هذا المدخل في الجهة الشرقية للسور و هو المدخل الثانوي الوحيد في السور و قد وصفه قزال[40] و نقله عنه حرفيا الباحث برينغل[41]، إذ يعتبر كفتحة مستطيلة الشكل بعرض 1.55 م و لم يرد شيء عن ارتفاعها ما يفسر أن برينغل أيضا لم يتمكن من الوصول إليها، يتوج هذا المدخل قوس صغير ملئ فراغه في فترة لاحقة و قد سماه البكري بباب الرّؤوس[42].

تأريخ السّور البيزنطي:

باعتبار السور الدفاعي لمدينة ميلة معلما رسميا و هذا بشهادة المؤرخ بروكوبيوس[43] الذي أقر ببنائه على يد صولومون بتوكيل من الإمبراطور جوستينيان، هذا الشاهد الأدبي و إن كان كافيا لكن ليس

بالدقة المرجوة من الشاهد الأثري حيث و كما سبق لنا الذكر، يبقى تحديد الفترة التي بني فيها أمرا مهما حيث كان للجنرال صولومون عهدتين في المقاطعة الإفريقية من سنة 534 إلى غاية 536 م ثم من سنة 539 إلى 544 م، فإلى أيهما يعود تاريخ البناء؟، لم يتم العثور على أيّ أثر للنقيشة الإهدائية التي من المفترض أن ترافق المعلم و التي من شأنها تحديد الفترة إذ ترفق دائما باسم الجنرال، صفته السياسية خاصة صفة الحاكم العام التي نسبت إليه فقط في العهدة الثانية و هنا يمكن الاستعانة بالأحداث التاريخية و مسيرة هذا القائد في المقاطعة الإفريقية.

نحن نعرف أنّ من أهم إنجازات الحملة الثّانية على الأوراس سنة 539م هي انهزام المقاومة المورية مما فسح المجال لصولومونيس السير قُدما نحو احتلال الحضنة، الزاب و الموريطانية الأولى أو ما يعرف بالسطايفية[44]، حيث تنتمي مدينة ميلاف إلى هذا الإقليم الأخير و عليه اجتمع الباحثون على أن تكون سنة 539م سنة التشييد لهذا السور الدفاعي. من جهة أخرى تؤكد الدراسة التي قام بها الباحث دورليا[45]أن معظم النقائش الإهدائية للمعالم الدفاعية البيزنطية الرسمية في هذه المناطق تعود بنا إلى سنة 539م في فترة تنصيب صولومون حاكما عاما للمقاطعة الإفريقية. لا أستبعد حصول هذا السور على نقيشة مماثلة نظرا لأهمية المدينة المحصنة ميلاف قياسا على المدينة المحصنة قالمة، التي وجدت بها نقيشة تخليدية رغم قلة أهميتها خلال العهد البيزنطي مقارنة بميلة.

ب- الكنيسة:

لعبت المدينة دورا هاما في نشر و حماية المسيحيّة من الشوائب العقائدية حيث دخل رجال دينها قائمة "الشهداء" منذ عهد ديوكلسيانوس[46]، و كان لها أساقفة حتى قبل سنة 260م[47]، ويعتبر أوبتاتوس(optatus)رجل الدين الأكثر شهرة في كنيسة افريقيا[(48)] التي قامت بنفسها رعاية المجمعين اللذين أقيما بميلة[49] كما ذكرنا آنفا. و قد عرف المجمع المقام في قرطاجة ما بين هذين المجمعين حضور أديوداتوس الميلي (AdeodatusMileuitanus)[50] و قد اتهم فيه رجل دين دوناتيي بتدميره لأربعة كنائس كاثوليكية في المدينة و التي لم تفلح الحفريات العلمية على ضبط مكانها بالمدينة[51]، كما قام الباحث تولوت(Toulotte) بإعداد قائمة لأساقفة ميلة و أبرز أهم ما قدموه لهذا الدين[52]، حيث أن أهمهم كان بوليانوس الذي كان المدعو الثالث لمجمع قرطاجة

الذي ناقش مسألة التعميد و ذلك سنة 255م أتى بعده ابتاتوس آلف سبعة كتب ضد الدونانية، خلفه الأسقف أنوريوس(Honorius) الذي اعتبر القديس اغسطين رؤيته شرف كبير للدوناتيين، ويأتي رابعا الأسقف سفيروس (Severus) و هو من أدخل الحياة الرهبانية vie monastique إلى المدينة و كان يتراسل مع أغسطين سنة 409م بعده يأتي رجل الدين بنناتوس (Benenatus) الذي نفي من طرف الملك الونداليهونيريك سنة 484م، أخيرا ظهر الأسقف رنستوس(Restitus) من بين الحاضرين قي مجمع سنة553م في عاصمة الإمبراطورية البيزنطية. و قد أصبحت ميلاف مركزا أسقفيا إلى جانب كل من زتارة، تيبازة و جميلة في مقاطعة نوميديا ضمن الكنيسة الإفريقية(525-646 م)[53]و شارك أساقفة المدينة منذ سنة 591م في مجمعات لما بين المقاطعات التي احتضنتها نوميديا في السنوات 591، 592، 593، 594، 602 و 646[54]، وذكرت بعض المراجع أن النظام الأسقفي استمر في المدينة حتى سنة 883م[55].

يوجد في الجهة الغربية للسور من داخل المدينة البيزنطية ميلاف و بالتحديد في الجزء الذي اتخذ منه الفرنسيون ثكنة أهم مسجد هو الأول في الجزائر و الذي يدعى بمسجد "سيدي غانم" و قد أقيمت عليه كما سبقنا بالذكر حفريات سنوات الثمانينات، مست القواعد التحتية له أين تم الكشف عن سور ذو تقنية بناء غاية في الجمال تتكون من أحجار ضخمة منحوتة بشكل دقيق وفني، مرصوصة بشكل بارع الذي تعودنا على رؤيته في العمارة الرومانية ذات الطابع العام أو المقدس ما أدى إلى الشك في أنه من أحد أسوار كنيسة رومانية و هذا باعتبار عادة المسلمين بإقامة مساجدهم الأولى على أنقاض الكنائس الرومانية أو البيزنطية. أثريّا، و لحد الآن لا يمكن الجزم بأن هذا الجدار هو لكنيسة حيث يبقى أهم دليل أثري هي الحنيّة (abside) التي تعرف بها الكنيسة خاصة إذا كانت موجهة نحو الشرق، و قد أقيم في هذا الصدد سبر في الجهة الغربية أين تم الكشف عنها.

ما يزيد الشكوك حول هوية هذا المبنى باعتباره كنيسة هو ما ذُكر في بعض النصوص الأثرية و التي تعود إلى عام 411م، أنّ مدينة ميلاف كانت لها أربع كنائس[56]، اتّهم أسقف دوناتي من المدينة بتهديمها[57]، و الواقع الميداني يعُدّ أربع مساجد في المدينة المسوّرة حاليا، خاصة و أن مكان تمركز

هذه الكنائس لم يتم تحديدها لحد الآن مما يزيد من حساسية هذا المبنى. فهل يمكن أن تكون المساجد الأربعة مبنية على أنقاض هذه الكنائس السالفة الذكر؟

الهوامش:

[1] - Pringle (D), The defense ofByzantine Africa. From Justinian to the Arab conquest, T.1, B.A.R. Oxford 1981, p. 112

[2] -Rebaud (V), et GOYT A., excursion archéologique dans les environs de Milah et de Constantine, R.S.A.C. 1927, p.31

[3]- Berthier (A), op.cit., p.185

[4]- Berthier (A), Ibid., p.134

[5]- RebauD (V) et GOYT (A), op.cit., p.32

[6]- Toulotte, géographie de l'Afrique Chrétienne, Numidie, Paris 1894, p.222

[7]- Tissot (Ch), exploration scientifique de la Tunisie, géographie compare de la province romaine d'Afrique, T.2, Paris 1888, p.406

[8]- Desange (J), un témoignage peu connu de Procope sur la Numidie Vandale et Byzantine. Byzantion, T.33, 1963, p..

[9]- Tissot (Ch), op.cit., p.406

[10]- Toulotte, géographie de l'Afrique Chrétienne, Numidie, Paris 1894, p.406

[11]- Courtois (Ch), les Vandales et l'Afrique, Paris 1955, p.328

[12]- Gsell (S), les monuments antiques de l'Algérie, Paris 1901, p.305

[13]- Cambuzat (P), l'évolution des sites du Tell en Ifriqiya du VII au XI siècle, T.2, Alger1986, p.286

[14]- Shaw, Voyage dans plusieurs provinces de Berberie, 1743, p.131

- Gsell (S), Exploration scientifique de l'Algérie pendant les années 1840-1845, Paris 1912, p.111

- Lassus (J), fouilles à Mila, *In Lybica* 1956, T.2, pp.201, 202

[15]- البكري، كتاب المسالك و الممالك، الجزء الثاني، تونس 1992، ص729، 730

[16]-Gsell (S), op.cit., p.111

[17]-FEGNAN, l'Afrique septentrionale au XIII siècle, d'après *KITAB EL ISTIBSAR*, R.S.A.C. T.33, 1899, p. 97

[18]- Lassus (J), op.cit., p.202

[19]- Gsell (S), les monuments antiques de l'Algérie. T2, Paris 1901, P. 365.

[20] GSELL(s), notes sur quelques forteresses antiques de la province de Constantine R.S.A.C. 1898, P. 297.

[21]- Ibid., P 365.

[22]- Gsell (S), notes sur quelques forteresses antiques de la province de Constantine R.S.A.C. 1898, P. 297.

[23]- Pringle (D), Thedefence of byzantine Africa, from Justinian to the Arab conquest, the account of the African provinces in the sixth and seventh centuries, part I, B.A.R., Oxford 1981.p. 219.

[24]- Pringle(D), op.cit., p. 219.

[25] مجّاني عزالدين، السّور البيزنطي لمدينة ميلاف، مذكرة التّخرّج لنيل شهادة الماجستير في الآثار القديمة، معهد علم الآثار، الجزائر، 2011.
[26]- Pringle (D), op.cit., p. 219.
[27]- Ibid., p 219.
[28]- Pergola, les fouilles de Milev, R.S.A.C. 1927, P. 66.
[29]- Pringle (D), op.cit, p 220.
[30]- Pringle (D),Op.cit., p. 68
[31]- Pringle(D), op. cit, p 220.
Pregola , op. cit p. 67.
[32]- Pergola, op.cit, p. 67.
[33]- Gsell (S), Exploration Scientifique de l'Algérie pendant les années 1840-1845, Paris 1912, p.112
[34]- البكري، كتاب المسالك و الممالك، الجزء الثاني، تونس 1992، ص 730.
[35]- Bouruiba (R), Architecture militaire de l'Afrique Médiévale, O.P.U 1983, p.36.
[36]- Pergola, les fouilles de Milev, R.S.A.C., 1927, p.64
[37] - Boumaaza (Z), Mila, les tissus urbains, colloque international du 1-3 décembre 1987, Oran, p.205
[38] - Gsell (S), Exploration scientifique de l'Algérie pendant les années 1840- 1845, Paris 1912, p.112.
[39]- Boumaaza (Z), op.cit., p.205
[40]- Gsell (S), les monuments antiques de l'Algérie, T.2, Paris 1901, p.365
[41]- Pringle (D), the defense of byzantin African,…………, p.220
[42] - البكري، المرجع السابق، ص 730.
[43]- Pringle (D), op.cit., p.219
[44]- Procope de Césarée, la guerre contre les Vandales, guerre de Justinien, livres III et IV, Paris 1990, p.190
[45]-Durliat (J), les dédicaces d'ouvrages de défense dans l'Afrique byzantine, Palais farnèse, Rome 1981, p 98.
[46]- Toulotte, géographie de l'Afrique Chrétienne, Numidie, Paris 1894, p 223.
[47]- Jaubert (H), Note d'Histoire et d'Archéologie Concernant ce diocèse de Constantine et d'Hippone، Bône1911،. P59.
[48]- Tissot (ch), Op.cit، p 401.
[49]- Toulotte, Op.cit.، p223.
[50]- Ibid., p.223.
[51]- Gsell (S), les monuments antiques de l'Algérie,t2, Paris 1901, p.305
[52]- Toulott, Op.cit.، p.p. 224-226.
[53]- Ibid., p. 348 .
[54]- Les conciles Africaine durant la période byzantine, diplôme supérieur d'Histoire, université d'Alger, pp. 3 -11.
[55]- Toulotte, op.cit.، p224 .
[56]-Toulotte, géographie de l'Afrique chrétienne, Numidie, Paris 1894, p.401
[57]-Gsell (S), A.A.A. (F. 17), p.4